بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه الطَّيِّبين الطَّاهِرين ، وبعد .

قصة الكتاب

مِن أعظم ما أنعمَ الله به عليَّ أنْ حَبَّبَ إلى نَفسي العِلْم ، وخاصَّةً العلم الشَّرعي ، فَنمى في نَفْسي ذلك الحُب وترعرع ، حتى صِرْتُ أجِدُ لَذّتي وسعادة نَفسي مع العلماء في مجالسهم ، أو صُحبتهم في كُتبهم ، وكُنتُ وأنا أدرس الشريعة في جامعتي الأردنية ، كانت تَدورُ فيها مُناقشات أمامي ، عن ابن تيمية وكان التجاذب بين المُتناقشين ، ما بين مُحِبٍّ لابن تيمية أو مُبْغِض ، وكُنتُ مِن المحبين له ، لكن لَم يَكن لَديَّ العلم والحُجَة فيما يَتناقشون فيه ، وكان الاتهام له في كل حوار ، أنه يقولُ بالتجسيم لله تعالى ، وأنه ضالٌّ !!، وكان السؤال مِنّي وغيري لبعض أساتِذةِ العقيدة في الجامعة ، ولِمشايخ في خارجها ، لِرَدِّ هذه التُّهم عنه ، أو لإثْباتها عليه ، بنصٍّ مِن كلامه ، ولكن لا أحَدَ أتى بشيءٍ مِن ذلك ، لا المُحِب ولا المُبْغِض ...

ومَرَّت السِّنونَ ، وبقيت تلك الأمور في ذاكرتي ، لا أجِدُ وقتاً للبحث في هذا الأمر تارةً ، وتارةً لا أجدُ الدّافع ..

وبعد انتهائِي مِن الدكتوراة ، وابتلائي بالفقر ، ولا أجد وظيفةً أستطيعُ أن أصْرِفَ على نَفسي ووالديّ وأُخْتاي وأخي ، وضاقت بي الدُّنيا مِن كل جانب ، وعَمِلْتُ في تربية الدجاج ...، ولكنّ نفسي لم تستطع الاستمرار في ذلك ،

للمشقَّة التي لم أتعود عليها ، وللخسارة التي لا أستطيع تَحملَّها ، فأسعار البيع ما بين صُعودٍ ونُزولٍ ، والوضع المادي عندي صعب جداً لا يَجعلني أستطيع الدُّخول في ذلك ، بعدَ تَحَمُّلِ دُيونٍ كثيرة سابقاً.

وبعد فترةٍ يَسَّر اللهُ لي العمل بجامعةٍ غير مُتفرِّغ ، وكنتُ أحصل على راتبٍ ضئيل ، واستلمه على دُفعتين ، كل ثلاثة أشهرٍ!! لا يكاد يكفي إلا لبعض الأمور الأساسية ، والباقي إمّا بالدَّين إنْ تَيسَّر ، والآخَر بالصبر على الجوع والألَم ، والمرض أحياناً أُخرى ...

وكانت الأوقات بين يَدَيّ أمْلِكُها ، فهداني مولاي وسيدي وربي ، لِأن أعْتَكِف على القراءة مع هذا الوقت وملازمة المسجد كثيراً ..

ففكّرتُ طويلاً ماذا أقرأ ؟، هل أقرأ في جانب العقيدة أم الفقه أم في كُتب التفسير ، أم في كُتب اللغة أم ...؟ ! ، فتذكرتُ تلك الشُّبَه التي كانت تُقال عن ابن تيمية ، ولَمْ أجِد أجْوبةً شافيةً لها ، فقد جاء الوقت لاكتشاف الجواب بنفسي وبموضوعية ، فهذا ما تعلمتُه في دِراستي الجامعية ، وخاصَّةً في مرحلة الدكتوراة ، فقد جاء الوقت العملي لتطبيق ذلك بنفسي ، فوفقني اللهُ تعالى للبدْءِ في قراءة كل كُتب ابن تيمية !! ولكن لا أُريدُ قراءة عابرة ، أو بانتقائية ، ولكن بموضوعية ، ولا أريدُ قِراءة فحسب ، وإنَّما أُريد تلخيص كتب ابن تيمية !! ، لقد تَرددتُ في هذا ، فالتلخيص فيه مَشقة عظيمة ، وكُتب ابن تيمية ليست قليلة ، ولكن وَجَدْتُ ـ بحمدِ الله وفضلِه ومِنَّتِه وكَرَمِه ـ راحةً وانْشِراحاً وإقْبالاً على ذلك ، ولكن لا أمْلِكُ مالاً لشراء كُتبه ، فهي كثيرة جداً !! ، فوفقني الله تعالى لأبْدَءَ باستعارة ما أجده عند مَن درسَ الشريعة في القرية التي أعيش فيها " جَلْقَمُوس " مِن قُرَى مدينة جِنين في فلسطين ، وبدأتُ في قراءة وتلخيص كتاب الفتاوى الكُبرى ، الذي اسْتعرتُه مِن الشيخ خليل الحاج أبو إبراهيم ، وكنتُ في الشتاء القارص شديد البرودة ، لا أمْلِكُ تدفئة عندي في البيت ، لعدم قُدرتي المالية على الإتيان بأيِّ وسيلةٍ للتدفئة !! ، وكان والدِي يَرْجُفُ مِن البرد ، مع وجود مرض السُّكري عنده ، وكانت معاناته تزداد لشدة البرد عليه ، ومعاناتي تزداد ، لأنِّي لا أمْلِكُ مالاً ، لِآتي له بما يَرفع مُعاناته ، ومعاناة أهلي ، وكنتُ مع ذلك أُمسِك كتاب ابن تيمية وألخِصُّ ، ولكن يدي تتوقف عن الكتابة ، لشدة البُرُودة في الشتاء ، فأُدْخِل

يدي تحت الغطاء " اللِّحاف " لِأُدْفِئِها ، ثم أُخرجها لفترة لأكْتُبَ بها ، ثم أُعاودُ الكَرَّة ، وكُنتُ لا أمكثُ إلا قليلاً مِن الوقتِ بعد العِشاء ، كي لا أسْتَخدِمَ الكهرباء كثيراً ، لعدم القدرة المالية ، فكنتُ اسْتثمِرَ النهار لذلك ... ثم يَسَّرَ اللهُ لي أن أكون إماماً مُتطوعاً في مسجد عمر بن الخطاب في مدينة جنين ، وأكون قريباً مِن الجامعة التي أعمل بها ، فأذْهَبُ إليها مَشياً ، وبذلك أستطيع توفير المبلغ المالي اليسير ـ لكنه كبير مع شِدَّة حاجتي ـ الذي كنتُ سأدفعه أُجرةً في المواصلات !!

وهيَّا اللهُ لي ذلك المسجد وملازمته ، فحفظت بعض أجزاء القرآن الكريم ، ومراجعة العِلْم ، مِن خِلال الدروس التي كُنتُ أعطيها للمُصلين ، وكنتُ أسهرُ ليلاً لقراءة كتب ابن تيمية وتلخيصها ، وكانت في سَكن المسجد ، كراسي " كَنَب " قديمة كنتُ أجلس عليها وأقرأ عليها ، وأنامُ عليها بلا مخدة!!

لقد كُنتُ أشعرُ بمُتعةٍ وسعادةٍ ، بما أقوم به ، ونشاطاً يُحفزني للعمل ، مع مشقته الشديدة !!

ومِمَّا يسَّره الله تعالى لي في ذلك المسجد ثلاجة قديمة صغيرة ففرحتُ بها كثيراً ، لأضَع الماء والطعام فيها .

وقد كان في المسجد تدفئةٌ في الشتاء ، وفي الصيف مراوح ، فكان الوضع مُهيأً لي لإنجاز مُهمتي ، فما أكرم ربي ، فله الحمدُ والمِنَّة.

ويَسَّر الله لي معرفة إخوةٍ كِرامٍ ، منهم أبو السَّعيد حسان الخالدي ، الذي كَلَّم المسؤول عن مكتبة الجامع الكبير الذي في مدينة جنين ، فقد كان بالجامع مكتبة كبيرة ، لأستعير منها ما أشاء مِن الكتب ، ووجدتُ بها مجموعة من كُتُبِ ابن تيمية ، كمجموع الفتاوى[1] ، فبدأتُ باستعارة مجلدين أو ثلاثة ثم أُعيدُهما ، وهكذا حتى أنهيتُ كل كُتُب ابن تيمية رحمه الله التي في المسجد .

---

[1] لا بُدَّ مِن التَّنبيه ، أنّ كثيراً مِن كُتب ابن تيمية ، المطبوعة في كتب مُستقلة ، كالعبودية وشرح حديث النزول والواسطية ... موجودة في مجموع الفتاوى ، وجامع المسائل ، وجامع الرسائل .. فلذلك لا يجد القاريء هذه الأسماء في الهوامش وقائمة المراجع ، وكتاب الفتاوى الكبرى موجود في عددٍ مِن أجزاء مجموع الفتاوى ، باستثناء المجلد الأخير فلا يوجد إلا في الفتاوى الكبرى ، ولم أكن أعلم بذلك ، ولأنّه أول كتابٍ بدأتُ به ، ولم يكن عندي حاسوب ، للمقارنة بينه وبين كتب ابن تيمية الأخرى ، ويمكن الرجوع لأسماء " مؤلفات ابن تيمية " ، لفضيلة الشيخ

ثم ابتلانا اللهُ تعالى ، بمرضِ أبي لِعمل عملية قلبٍ مفتوحٍ له ، مع ضيق الإمكانيات ، بل عدمها ، وكُنْتُ آخُذُ معي بعض كُتب ابن تيمية للمستشفى في مدينة أخرى " نابلس " ، فكنتُ أقرأ وألَخِّص ، وكنتُ لا أجِدُ مكاناً لأكتُبَ عليه ، فكنتُ أجلِسُ على الأرض ، وعلى الدَّرج ، الذي كان واسِعاً ، وكانت الحركة عليه قليلة ، وأنا أجِدُ مُتعة وسَعادةً وفَرَحاً ، وخاصَّةً ما أجده مِن دُرَرِ ابن تيمية وعِلْمه الأصيل ...

ثم بدأتُ البحث عن كُتُبٍ أخرى لابن تيمية ، فبدأتُ البحث عن طريق الشبكة العنكبوتية ، فوجدتُ بعض الكتب التي لم أقرأها وألَخِصها لابن تيمية ، في جامعة النجاح في مدينة نابلس ، فهداني الله تعالى لاستعارة الكتب ، فطلبتُ مِن بعض الأفاضل ، الأستاذ مُنير عايد الكِرْم ، بأن يَسْتعيرها لي ، فرحَّب وأسعدني بإحضارها ...

ثم توقفتُ ...فهناك ما لم أستطع الحصول عليه ، مِن كُتُب ابن تيمية ، ولا يوجد لا في مكتباتٍ عامة ولا خاصة في فلسطين ، ولا عندَ أحدٍ مِن أهل العِلم الذين سألتهم ..ككتاب " دَرْءُ تعارُض العقل والنَّقل " ، فاقْتَرحَ عليَّ الدكتور : مُحْسِن الخالدي ، أن أنَزِّلَه وأقْرأهُ " بي دِي إف " !! فاسْتَصْعَبتُ الأمرَ كثيراً ، فالكتاب ليست صفحات محدودة ، وإنما بضْع مُجلداتٍ !! وحِرْصاً على الوقت وحُبَّاً لإكمال مشروعي مع ابن تيمية ، ولعدم إمكانية شراء كُتبه التي لم أقْرَأها بَعْدُ ، قرَّرتُ تَنزيلها وقِرَأتُها " بي دِي إف " على مَضضٍ وتَخوِّفٍ مِن هذه التجربة المُتعِبَة جِدّاً ، وبدأتُ بالقراءة على جهاز " اللابتُوب " والتلخيص للكتاب .. وكان ما لم أتَوقعه ، فقد يَسَّر اللهُ لي الأمر ، وبَدأتُ أشْعُرُ بالارتياح ثم المُتعة والسَّعادة ، حتى أنهيتُ جميع مجلدات الكتاب !!

ثم بدأتُ البحث عن باقي الكتب والجديد الذي طُبع لشيخ الإسلام رحمه الله ، ونَزَّلْتُها وقرأتُها على " بي دي إف " ، وقد استمرَّ الأمر حوالي الأربع سنوات !! وكان مجموع ما كتبتُه مِن تلخيص لكُتب شيخ الإسلام رحمه الله ، ١١ عشرة ألف ورقةٍ أو يزيد !!

الفاضل : عبد السلام بن إبراهيم الحصين غفر الله له وأكرمه بجنَّته ، فقد فصَّل في أسمائها وبيان ذِكْر ما له أكثر مِن اسم مِنها وطبعاتها .

لقد كانت رحلةً بِقَدْرِ التَّعَب والمشقة والألم ، كانت المُتعة والسعادة والعِلم والفائدة... لقد سَطَّرْتُ هذه الكلمات ـ مع تَرددي عن كِتابتها ـ لِحَفِّز طُلاب العِلم للجدية في طلبِ العلم ، على رَغم الظروف الصعبة والبائسة التي قد يَمُرُّ بها أحدهم في حياته ، فمع الاستعانة بالله تعالى ، سيستطيع تَحدِّي الصعاب ، وتجاوزها ، مع مَرارة الأمر وشِدَّته ، ولقد ذُكرتُ بَعضاً مِن مُعاناتي ... وتركتُ الباقي ...

لقد رأيتُ مع شيخ الإسلام رحمه الله تعالى العلم الكبير ، والتأصيل العلمي ، والتحرير للمسائل ، ورُسُوخ العِلم ، وتألُقاً في كتابته ، وإبداعاً في اجتهاداته ، فالدليل عنده مُقَدَّس ، والفِقه العميق للدليل ، وسَعَةُ الفهم ، وشُمُولية الأُفُق ، وسَعة الاطِّلاع ، والوسطية في التناول ، والإنصاف للخُصُوم ، والرحمة للمسلمين ، وقوة الثِّقة بالله ، وزهده في الدُّنيا .

وقد تَبيَّن لي مِن كلامه ـ رحمه الله ـ أكاذيب خُصُومه عليه ، وسَتجد بنفسك هذا الأمر في ثنايا الكتاب ـ الذي لَم أتدخَّل في آرائه رحمه الله ـ .

لقد شَكَّلَ شيخ الإسلام في شخصيتي ، أبعاداً جديدة ، الفهم الأعمق للنصوص الشرعية ، والوسطية المُنضبطة بالشرع ، في التعاطي مع الأمور ، وسَعة الصَّدْر مع الآراءِ التي تُخالفني ، والحِرْص على جَمْع كلمة المسلمين ، وزيادة المحبة لمنهج الصحابة ومن سار على نهجهم بإحسان ، وشحن همتي أكثر نحو العلم الشرعي .

وهذا الكتاب الذي بين يديك ، هو أولُ[1] دُرَّة أُقدِّمها لك أيها القاريء النَّجيب ، مِن دُرَر ونفائس عِلْم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ـ رحمه الله ـ ، التي وفقني اللهُ تعالى لاسْتخراجها مِن بَحْر عِلْمه ، ووضْعِها بين يديك ، لِتنهل منه

---

[1] الكتاب القادم ـ بإذْن الله تعالى وتوفيقه ـ " الجرح والتعديل عند شيخ الإسلام ابن تيمية " في كلامه عن : شخصيات ، فِرَق ، بُلْدان ، كُتُب ، والكتاب الآخَر : " معجم البدع عند شيخ الإسلام رحمه الله " ، وغيرهما فيما بعد ـ بإذْن ربي سبحانه ـ .
ملحوظة : ما تجده بعد التعريف ، مِن أسماء أشخاص أو فِرَق ، هو ما ينسبه شيخ الاسلام إلى قائليه ، والتعريفات التي ليس بعدها شيء ، قد تكون لشيخ الإسلام ، وقد تكون لغيره ، فلا بُدَّ مِن الرجوع إلى سياق الكلام الذي قِيْلت فيه ، وخاصَّةً التعاريف المُخالِفة للشرع .

، عِلْمَاً راسِخاً ، وفائدة نفيسةً ، وكلمةً سَديدة ، ومنهجاً فريداً ، وإنصافاً عزيزاً.

فرحِمَ اللهُ شيخ الإسلام رحمةً واسِعة ، وجَزاه خير الجَزَاء لِمَا قدَّم للإسلام والمسلمين ، وغفر الله ذَنْبَه ، وجَعَلَهُ مِن السبعين أَلْفاً الذين يَدْخُلون الجنة بغير حِسابٍ ولا عذاب ، وأسكنه الفردوس الأعلى ، بفضله وكرمه ورحمته سُبحانه وتعالى .

الدكتور :

مَدْيَن بن جمال الصالح

للتواصل والنصيحة : mdynjmal@gmail.com

جوال : ٠٠٩٧٢٥٩٢٢٣٠٢٥٦